\فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "علمتني آية"

طاعة الله وطاعة رسوله

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: محمد سعد الشرقاوي

رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-167619.htm

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم،

يقول الله –تبارك وتعالى–: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" النور: ٥٤، هما شهادتان حتى تدخل في الإسلام، لا تدخلك أحدهما الإسلام إنما لابد من الاثنتين أن تشهد لله بالوحدانية، وأن تشهد لنبيه محمد –صلَّى الله عليه وسلم– بالنبوة والرسالة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

سمعنا وأطعنا

أعظم مقتضيات الشهادة إيه يا جماعة؟ أعظم مقتضيات الشهادة أن تطيع النبي –صلَّى الله عليه وسلم– طاعةً مُطلقة، يعني إيه برضه أطيع النبي –صلَّى الله عليه وسلم– طاعة مطلقة؟ يعني إذا أمرك بأمر تخيل معايا لو أنت الآن في عهد الصحابة، وعايش معاهم في مكة أو في المدينة، وقدامك النبي –صلَّى الله عليه وسلم– وقالك تعال يا أحمد تعال يا إبراهيم تعالي يا فلانة افعل كذا أو لا تفعلي كذا، يجب عليك قولًا واحدًا أن تطيعه أن تسمع كلامه أن لا تعترض على قوله، لا بكلمة ولا بفعل إنما تقول سمعنا وأطعنا يا رسول الله.

التحايل على أمر الله ورسوله

عندما تتحاكم أنت وأخوك أو أنت وزوجك أو أنت وجارك، أنت وأي أحد إليه –صلَّى الله عليه وسلم– فيحكم عليك أو لك بكذا أو كذا تقول سمعنا وأطعنا يا رسول الله، قلنا كثيرًا ما أسهل الدعاوى في هذه الآيات العجيبة قال –تبارك وتعالى– فيها وتأمل: "وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا" النور: ٤٧، إسأل أي حد في الدنيا من المسلمين، قل له أنت بتطيع النبي؟ –صلَّى الله عليه وسلم– يقولك طبعًا وأطعنا، "وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ" إيه معنى التولي؟ التولي يعني يبعد ويعرض، لا يَقبل أمر النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، تقوله النبي بيقول كذا فلا يلتفت، يوليه ظهره أو يأتي عليه بما يبطله يقولك طب اقنعني، طب إزاي النبي يقول كذا؟ أو يعمل ما يسمى التأويل الحداثي للتراث يقول لك لا أنا عارف إن النبي قال كده يا عم هو أنا هاكفر بالله؟ بس الكلام ده كان أيام النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، و"أَنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ مَرَّ بقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقالَ: لو لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ قالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بهِمْ فَقالَ: ما لِنَخْلِكُمْ؟ قالوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بأَمْرِ دُنْيَاكُمْ" صحيح مسلم، ودي

من الأمور الدنيا وإحنا ممكن نضبط الدنيا والقصد من الدين إيه؟ إنك تقرب من ربنا، خلاص أنا أي حاجة هتقربني من ربنا هعملها وخلاص، المهم لا يستجيب، لا يُذعن، لا ينقاد.

رسالة لكل من يعترض على أمر الله وأمر رسول الله

ربنا قال: "وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ" النور ٤٧: ٤٩، لما يبقى كلام النبي هيجيب لهم حاجة حلوة بيحبوها، لما يبقى جاي على القلب جايب لهم مصلحة، "وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ" ، أي إلى كلام النبي يتحاكموا إليه، "مُذْعِنِينَ" ، في غاية الانقياد ما شاء الله عليهم، "وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ"، ربنا قال في ثلاث اختيارات، أو ثلاث احتمالات "أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" اللي مش عاوز كلام النبي ده أو لا يقبل كلام النبي أو بيعترض على كلام النبي –صلّى الله عليه وسلم– أو لا يسمع كلام النبي –صلّى الله عليه وسلم– أو يعصيه حاجة من الثلاثة: يا إما قلبه مريض، أو عنده ريب "أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا" أي عنده شك، " أَمْ يَخَافُونَ" ولا هو خايف إن ربنا والنبي يظلموه؟

ترك لنا نبينا سُنته التى إن تمسكنا بها لا نضل

شايف إن العدل في غير كلام ربنا وكلام النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يقول لك لا يا عم أصل الكلام ده فيه شدة، فيه قسوة، فيه غلظة، الكلام ده معلش يعني هيظلم المرأة، هيظلم مش عارف مين، ربنا قال: "بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ" المؤمن بقى بجد اللي فعلًا مصدق إن ده كلام ربنا وده كلام النبي –صلَّى الله عليه وسلم–، "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ" ، سمعنا وأطعنا، "وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" النور ٥٠: ٥١ إنت مش مأمور فقط إنك تسمع كلام النبي، يعني إحنا مش عايشين مع النبي –صلَّى الله عليه وسلم– لكن معانا سنته، آه نعم توفي –عليه الصلاة والسلام– ذهب إلى ربه لكن ترك فينا ما إن اعتصمنا به لا نضل، كتاب الله وسنته، عندك كتاب البخاري ليس فيه حديث ضعيف، صحيح مسلم ليس فيه حديث ضعيف.

راجع إيمانك إذا كنت كذلك

أحاديث كثيرة جدًا خارج الصحيحين اتفق أهل العلم على صحتها، إذا جاءك قوله –صلَّى الله عليه وسلم– نصٌ عنه ماذا تفعل؟ ما الواجب عليك؟ سمعنا وأطعنا يا رسول الله، بل لا تجد في قلبك أدنى أدنى ضيق من سماع قوله، الحرج بس الضيق إنك تبقى متضايق من كلامه راجع نفسك راجع إيمانك، " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ" واحد، اثنين؛ "ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ" ، ثلاثة، "وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" النساء: ٦٥ يعني ينقادوا تمام الانقياد مش يقول لك يعني مفيش حد في مصر هيطبقوا عليه كلام النبي إلا أنا؟ يعني خلاص ضاقت عليا أنا، أهو ده بقى لازم يراجع إيمانه.

كلام نبينا –صلَّى الله عليه وسلم– وحي من ربنا

السؤال بقى المهم جدًا والخطير جدًا، أنا ليه أسمع كلام النبي؟ –عليه الصلاة والسلام–، ليه لما يجيلك حديث افعل كذا أو لا تفعل كذا تقول سمعنا وأطعنا ليه أطيعه؟

١– وده أهم شيء، وتأمل جدًا هذا الأمر، وأنا بقولك إيه؟ ربنا قال في القرآن وأطيعوا الله واطيعوا محمدًا؟ أمال قال إيه ربنا؟ قال: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ" آل عمران: ١٣٢، في وصف، أنت بتقول وأشهد أن محمدًا رسول الله، يعني إيه رسول الله؟ أنا لما بقول لك اسمع كلام النبي مش لأنه محمد بن عبد الله الإنسان العادي لا لا لأنه نبي الله، لأنه رسول الله، يعني إيه نبي الله ورسول الله؟ يعني هو ده الواسطة بينا وبين ربنا في تبليغ شرعه، برضه مش فاهم؟ يعني أنا وأنت ما شفناش ربنا ولا سمعنا ربنا، صح؟ يوم القيامة ربنا يرزقنا وإياكم أن نرى الله ونسمعه –سبحانه وتعالى– لكن في الدنيا لم نرى ربنا ولم نسمع ربنا، ربنا –سبحانه وتعالى–، ربنا عنده رسالة، أوامر، عنده وحي، أراد لنا الحياة والخير، مين يبلغه لنا؟ ربنا اصطفى من خلقه أطهر وأنقى وأحسن قلب، قلب النبي محمد –عليه الصلاة والسلام– فاختاره لنفسه عشان يبلغه رسالته ويعمل إيه؟ "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ" المائدة: ٦٧ يبقى النبي مش بيتكلم من عند نفسه؟ لا والله مش من عند نفسه، يعني كل حديث قاله مش من دماغه؟ لا مش من دماغه، مش من هواه يعني ولا من ميله؟ لا ده ربنا قال في القرآن، ربنا اللي قال: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" النجم ١: ٤، يعني كلامه ده كله وحي عن ربنا، هذه أوامر الله بلفظه –صلّى الله عليه وسلم–.

عندنا الوحي الأول إيه؟ القرآن، هكذا القرآن كلام الله لفظه ومعانيه ثم تأتي السُّنَّة، من عند الله –تبارك وتعالى– لكن لفظها وألفاظها من عند النبي –صلّى الله عليه وسلم–، عبد الله بن عمرو بن عبد العاص الصحابي الجليل كان بيعمل إيه؟ كان يكتب الأحاديث اللي بيسمعها من النبي –عليه الصلاة والسلام– أي حديث يسمعه يدونه طوالي، فواحد من قريش أو مجموعة من قبيلة قريش قالوا: يا عبد الله النبي بشر، طب إحنا عارفين إن هو بشر مش جديدة يعني ده ربنا اللي قالنا: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ" بس الفرق إيه؟ "يُوحَىٰ إِلَيَّ" الكهف ١١٠، نبيٌ يوحى إليه هو بشر لكن اصطفاه الله تعالى بالوحي، يأتيه الوحي ليل نهار، يبلغنا عن الله –تبارك وتعالى– مراده، فواحد قال له: يا عبد الله ده النبي بشر وممكن يغضب يعني مثلًا ممكن يبقى زعلان، فمش كل حاجة تكتبها يعني، فعبد الله بن عمرو فكأن الكلام يعني أثر فيه لحظيًا كده، فتوقف عن الكتابة ثم رجع يسأل "عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو، قال: كنتُ أَكتُبُ كلَّ شيءٍ أَسمَعُهُ مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أُريدُ حِفظَهُ، فنَهَتْني قُرَيشٌ، وقالوا: أَتكتُبُ كلَّ شيءٍ تَسمَعُهُ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بَشَرٌ يَتكلَّمُ في الغضبِ والرِّضا؟ فأَمسَكْتُ عن الكِتابِ، فذَكَرْتُ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فأَومأَ بأُصبُعِهِ إلى فيه، فقال: اكتُبْ؛ فوالَّذي نفْسي بيدِهِ، ما يَخْرُجُ منه إلَّا حقٌّ" صححه الألباني، يعني حتى وهو غضبان هو زعلان، هو متضايق لا يتكلم إلا بالحق –صلّى الله عليه وسلم–، ده الرقم الأول.

نبينا –صلَّى الله عليه وسلم– حريص علينا

إحنا مش بنقول لك اتبع النبي محمد لأنه كان فيلسوف عظيم، ولا مفكر قدير، ولا مصلح اجتماعي خطير لا لا لا لا لا الأصل مش هو ده، الأصل أنه نبيٌ يوحى إليه، كلامه معصوم، يعني إيه معصوم؟ لا تجد فيه باطل، لا تجد فيه غلو، لا تجد فيه زيف، لا تجد فيه شطط إنما المعيار والحق لا يقول إلا الحق –صلّى الله عليه وسلم–، واحد.

اثنين ليه أطيع النبي –صلّى الله عليه وسلم–؟ لأنه أولى بك من نفسك، أحرص عليك من نفسك، أحرص عليك من كل الخلق، والله العظيم لو جمعنا كل الخلق وأرادوا وأقسموا بالله وكانوا محقين أنهم يريدون لك الخير لن يبلغوا مثقال ذرة من إرادة النبي لك الخير، –صلّى الله عليه وسلم– ربنا قال في القرآن إيه؟ قال: "النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ" الأحزاب: ٦، أولى بك من نفسك –صلّى الله عليه وسلم– حريصٌ عليك غاية الحرص، ربنا قال في القرآن كده، ماذا قال –سبحانه وتعالى– وتأمل: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ" يعني يشق عليه هلككم يعني يعزّ عليه أن تضل، "عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" التوبة: ١٢٨ يعني إيه حريص عليك؟ يعني أحرص الناس على هدايتك، لم يترك ذرة تقربك من الله إلا ودلك عليها، ولم يترك ذرة تباعدك عن الله إلا ونهاك عنها، –صلّى الله عليه وسلم– لم يكتم من الوحي شيئًا –صلّى الله عليه وسلم–، وكان أحرص الناس على هداية الخلق.

تخيل في يوم من الأيام النبي –عليه الصلاة والسلام– كان عنده خادم غلام من اليهود، من مين؟ من اليهود غلام يهودي بس بيخدم النبي –صلّى الله عليه وسلم–، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– عرف إنه مريض، الغلام ده تعبان يعني فقال أزوره، فذهب إليه –صلّى الله عليه وسلم– فوجده كأنه ينازع الموت، قرب يموت أبوه عند رأسه اللي هو اليهودي، والولد مسجّى خلاص في فراش الموت، قال: "يا غلام يا غلام قل لا إله إلا الله محمد رسول الله" فالغلام نظر إلى أبيه اليهودي فقال أبوه له: يا بني أسمع أطع أبا القاسم، –صلّى الله عليه وسلم–، اسمع كلامه هو عارف إن هو على الحق أطع أبا القاسم، روي أنس بن مالك "أنَّ غلامًا، منَ اليَهودِ كانَ مرِضَ فأتاهُ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ يعودُهُ فقعَدَ عندَ رأسِهِ، فقالَ لَهُ: أسلِم فنظرَ إلى أبيهِ، وَهوَ عندَ رأسِهِ، فقالَ لَهُ أبوهُ: أطِع أبا القاسِمِ فأسلَمَ، فقامَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، وَهوَ يقولُ: الحمدُ للَّهِ الَّذي أنقذَهُ بي منَ النَّارِ" صححه الألباني.

يبهرنا شعاع الشهوات وننسى أن فيه الهلكة

عمه أبو طالب تأتيه الوفاة خلاص بيموت، يسمع عن ذلك يخرج مسرعًا إليه يجده خلاص ينازع الموت، يقول: "يا عم قل كلمة أشفع لك بها عند الله" كلمة واحدة وعند رأسه أبو جهل يقول له: أتترك ملة آبائك وأجدادك يا أبا طالب حتى كان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، حزن أشد الحزن لذلك ربنا –عز وجل– ماذا قال؟ قال: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِم" هتموت نفسك هتهلك نفسك، "إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" الكهف: ٦ ضرب لنا مثلًا عجيبًا –صلّى الله عليه وسلم–، قال: "إن مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ استوقد نارًا"، لو أنت مثلًا قاعد في الصحراء أو في الغيط مكان واسع بالليل كده في الصيف ومولع شوية ولعة مثلًا بيحصل إيه؟ تلاقي الهموش والناموس والدواب دي عمالة تقع في قلب النار، هي شايفة إيه؟ شايفة الضوء فعمل لها نشوة كده، سكرانة مع إن فيها نار هتموت، تحترق لكن هي نسيت الأذى وبهرها الضوء. هكذا نحن يبهرنا شعاع الشهوات وننسى أن فيه الهلكة.

لا نقول إلا سمعنا وأطعنا وإن لم تظهر لنا العلة

النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول: "مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا، فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَها جَعَلَ الفَراشُ وهذِه الدَّوابُّ الَّتِي في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، وجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فيها، قالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي ومَثَلُكُمْ، أنا آخِذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فيها." صحيح مسلم، لما يقول لك بلاش دي، ابعد، "نهانا رسولُ اللهِ عن بيعِ الذهبِ بالذهبِ، والفضةِ بالفضةِ، والتمرِ بالتمرِ، والبُرِّ بالبُرِّ، والشعيرِ بالشعيرِ، قال أحدُهما: والمِلْحُ بالمِلْحُ. ولم يَقُلْه الآخرُ: إلا سواءً بسواءٍ، مِثْلًا بمِثْلٍ. قال أحدُهما: مَن زادَ أو ازدَادَ فقد أربى، ولم يَقُلْه الآخرُ: وامرَنا أن نَبِيعَ الذهبَ بالفضةِ، والفضةَ بالذهبِ، والبُرَّ بالشعيرِ، والشعيرَ بالبُرِّ يَدًا بيدٍ كيف شِئْنا" صححه الألباني، تقوله سمعنا وأطعنا بس أنت مش فاهم العلة، أنا رايح أبيع ذهب قديم بذهب جديد خلاص خذ يا عمي ٥٠ جرام واديني ٦٠ جرام وخذ الفلوس الفارقة أهي، ده ربا، طب أعمل إيه يعني؟ لا بيع الذهب القديم وخذ فلوسك واشتري ذهب جديد، ما هي هي يا عمي الشيخ؟ عندك أنت هي هي، لكن النبي بيقولك إيه؟ "من زاد أو استزاد فقد أربى".

الجماعة المشركين قالوا إيه؟ "إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا" البقرة: ٢٧٥، ربنا قال، "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" قد لا تدرك أنت بعقلك حكمة الشريعة الباهرة، قد لا تفهم علة النص، أعمل إيه ساعتها؟ تبقى عندك الاعتقاد ده، قال بعض الصحابة: نهانا نبينا –صلّى الله عليه وسلم– عن أمرٍ كان نافعًا لنا في الجاهلية، طب عملتوا إيه يا عم؟ وطواعية الله ورسوله أنفع.

لما تفتح صحيح البخاري وصحيح مسلم بالخلفية دي؛ أن طواعية الله ورسوله أنفع ربنا قال في القرآن إيه؟: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا" هو ده الشرط أنك تكون موقن، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لإيه؟ "لِمَا يُحْيِيكُمْ" الأنفال: ٢٤

أُقسم بالله غير حانث كل أوامره –سبحانه–، كل أوامره –صلّى الله عليه وسلم– هي الحياة. هنا تُصنع الحياة، هنا فين؟ هنا في ظل الشريعة في ظل قال الله قال رسوله –صلّى الله عليه وسلم– تكون الحياة، وكلما ابتعدت لن ترى إلا الموت.

أسال الله تبارك وتعالى أن يحيينا أنا وإياكم على شريعته وعلى طاعته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته